وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة قسم التاريخ

دعامة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر

التخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

المقياس: أعلام الفكر الإصلاحي والسياسي في الوطن العربي

الأستاذ/ د.عبد القادر خليفي

المحاضرة الثانية: النهضة والإصلاح في الوطن العربي

مفهوم النهضة: يذهب المفكر المغربي محمد عابد الجابري إلى أن مصطلح النهضة من المصطلحات الجديدة في اللغة العربية وقد صيغت من مادة " ن.هـ.ض " لتنقل إلى لغة الضاد مضمون الكلمة الفرنسية Renaissance التي لم تظهر في اللغة الفرنسية إلا في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، منظورا إليها كمشروع مستقبل عربي وهنا تكمن إحدى المفارقات التي تحكم العلاقة بين الفكر الأوربي ومفاهيمه والفكر العربي الحديث ومصطلحاته المترجمة.

ويقارن الجابري بين مصطلح النهضة ومقابله في اللغة الفرنسية Renaissance ففي حين تعني النهضة في اللغة العربية القيام والحركة تعني في قاموس الحداثة الأوربية الولادة الجديدة، ويرى بأن لفظ النهضة صيغ بعديا في اللغات الأوربية ليعبر عن واقع تحقق فعليا، فالميلاد الجديد الذي يشير إليه مصطلح Renaissance يتمثل في قيام حركة تجديدية واسعة وعميقة شملت الفنون والعلوم والآداب، حركة اعتمدت إحياء التراث الإغريقي والروماني والتي انطلقت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، بينما يشير لفظ النهضة في الفكر العربي الحديث

والمعاصر إلى مشروع للمستقبل، مشروع لم يكتمل بعد حتى على صعيد التصور الذهني.

وفي تناغم مع هذا الطرح، كتب الباحث منذر معاليقي :" ومن الأمور الهامة التي يجب أن لا نغفلها في هذا السياق أن الحديث عن النهضة الأوربية يتعلق بتاريخ متحقق، في حين أن الحديث عن النهضة العربية والمشاريع الإصلاحية العربية هو مجرد حديث عن وعي تاريخي يتجه نحو هدف لم يصبه بعد ".

أما لماذا فرض لفظ " نهضة " نفسه في الخطاب العربي الحديث والمعاصر بدل لفظ " بعث" أو " انبعاث" الذي هو أقرب كثيرا إلى المعنى الأوربي لكلمة الولادة الجديدة؟ فيجيب الجابري أن :" الظروف وحاجات الناس هي التي تفرض رواج الكلمات لتكون شعارات للمرحلة وليس التطابق مع مضمون هذه الكلمات في المرجعيات التي نقتبس منها"، فالظروف التي عاشتها البلاد العربية هي التي أملت على الرواد الأوائل استعمال مصطلح النهضة بدل كلمات مثل انبعاث وتجديد، فما كان العرب في حاجة إليه هو النهوض لمقاومة التدخل الأوربي والاحتلال الأجنبي، وهذا النهوض يجب أن يكون في آن واحد قياما وحركة، القيام بمعنى استجماع القوى والاستعداد، والحركة بمعنى مواجهة التهديد الخارجي.

وقد ذهب خير الدين التونسي إلى " أن التقدم هو في الواقع مسايرة العصر والمشاركة في نفس التنظيمات الحضارية وتمثلها، أو هكذا يظهر بالنسبة للجماعات التي وجدت نفسها بمعزل عن التجديدات الكبرى الروحية والمادية التي أدت إلى الحضارة واندفاعها إلى الأمام وهذا الارتفاع العام للمجتمع وتحوله من حالة متأخرة إلى حالة متقدمة هو ما أطلق عليه الوعي العربي اسم النهضة.

إن العامل الخارجي – الغرب – لم يكن يقدم نفسه في صورة واحدة، بل لقد كان ولا يزال يحمل بالنسبة إلى مشروع النهضة العربية مظهرين متناقضين: مظهر يمثل العدوان والغزو الاستعماري والاحتكار والهيمنة..الخ، ومظهر يمثل الحداثة والتقدم بكل قيمهما العصرية المادية

والمعنوية كالتقنية والعلم والديمقراطية والحرية ..الخ، ومن هنا كان الغرب ولا يزال بالنسبة للعرب العدو الذي يجب الاحتراز منه والوقوف ضد مطامعه وسيطرته من جهة، والنموذج الذي يغري باقتدائه والسير في ركابه من جهة ثانية.

مفهوم الإصلاح: عرّف ابن منظور في لسان العرب الإصلاح بأنه نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أي أقامه، وقد ورد فعل أصلح في القرآن الكريم في اثني عشر موضعا، ومن ذلك قوله تعالى في سورة هود الآية 88: " وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

عرفت كلمة إصلاح تطورا خلال القرن التاسع عشر من حيث دلالتها المفاهيمية،حيث أصبحت تطلق على الاتجاهات الفكرية والحركات السياسية والاجتماعية التي ظهرت في العالم الإسلامي بهدف تغيير الأحوال السياسية والاجتماعية تغييرا لا يصل إلى درجة الانقلاب، والفعل الإصلاحي يهدف لإلغاء وتقليص المسافة والفارق ما بين الواقع الذاتي القائم وذلك القياس النموذجي.